Sana'a University Journal of Human Sciences
مجلة جامعة صنعاء للعلوم الإنسانية
Vol. 3 | No. 3 | Page 486 – 509 | 2024
https://journals.su.edu.ye/index.php/jhs
ISSN : 2958-8677

دور العامل الإداري والسياسي في نشأة علوم اللغة والنحو عند العرب
دراسة في الكِتابة والكُتّاب

The Role of Administrative and Political Factors in the Rise of Arabic Grammer and Linguistic Sciences: A Study on Writing and al-kuttab (Scribes)

خالد عبد الحليم العبسي

قسم اللغة العربية – كلية اللغات
جامعة صنعاء – اليمن

Khaled Abdulhaleem Alabsi

Department of Arabic Language - College of Languages
Sana'a University - Yemen

الملخص:

يبيّن هذا البحث الظروف التاريخية التي نشأت فيها الكِتابة والدواوين في الحضارة العربية، ثم قرار تعريب الدواوين في أيام الدولة الأموية وأغراض ذلك القرار، والأثر الذي كان لقرار التعريب في الإقبال على تعلّم العربية، ويقف على الأخبار التي تدلّ على أن الخلفاء والأمراء مارسوا الرقابة اللغوية على الكُتّاب، فقرّبوا وأبعدوا من الكُتّاب بحسب حظّهم من العربية، ويبين أن وجها من ذلك كان أيضا يتصل بأيديولوجيا في الثقافة العربية رأت أن كلام عِلية القوم يجب أن يترفّع عن الفساد اللغوي الذي تلوكه ألسنة العامة، ويكشف تفاعل علماء العربية مع مجال الكِتابة والكُتّاب، ويبيّن المؤلفات التي وجّهها إلى هذا المجال، وشكوى العلماء من تقصير الكُتاب في علوم العربية، ويشرح الموضوعات اللغوية التي ظهرت في تلك المؤلفات، وهي ستة: المعرفة اللغوية العامة، قضايا الهجاء، قضايا التصويب اللغوي، المعرفة اللغوية المتصلة بالكتابة، التقاليد اللغوية المتصلة بالكتابة، التعريف بقضايا البلاغة وما يناقضها، ثم يبيّن عناية الكُتّاب بالبلاغة وأنها جُعلت من "أدوات الكتابة"، ودور الكُتاب في تطوير البلاغة وأثرهم في النثر الفني، إذ ظهرت في مجال الكتابة لغة ذات طابع مزدوج تعبّر عن مقتضيات الإدارة ولها طابع فني.

الكلمات الافتتاحية: الكتابة، الكُتّاب، أدب الكاتب، نشأة معارف اللغة، نشأة النحو، العامل الإداري والسياسي.

Abstract:

This research elucidates the historical conditions under which writing and Al-Dwaween (administrative registers) emerged in Arab civilization. It then discusses the decision to Arabize Al-Dwaween during the Umayyad era, the purposes behind this decision, and its impact on the enthusiasm for learning Arabic. The research examines reports indicating that caliphs and princes exercised linguistic oversight over al-kuttab (scribes), promoting or dismissing them based on their proficiency in Arabic. It highlights an ideological aspect within Arab culture that believed the speech of the elite should be free from the linguistic corruption common among the general populace. The research explores the interaction of Arabic scholars with the domain of writing and al-kuttab, detailing the works scholars directed towards this field and their complaints about al-kuttab's shortcomings in Arabic sciences. It explicates the linguistic topics that emerged in these works, which are sixfold: general linguistic knowledge, issues of orthography, matters of linguistic correction, linguistic knowledge related to writing, linguistic traditions connected to writing, and the introduction to rhetorical issues and their opposites. The study further demonstrates the al-kuttab's attention to rhetoric, which was considered one of the "tools of writing," and their role in developing rhetoric and their influence on literary prose. A dual-natured language emerged in the writing domain, fulfilling administrative requirements with a literary character.

Keywords: writing, al-kuttab, "Adab al-Katib" (The Scribes Guide), rise of linguistic knowledge, rise of grammar, administrative and political factors**.**

المقدمة:

المعرفة عملية اجتماعية، وكلّ معرفة لها سياق اجتماعي تتشكّل فيه، ومن أجل فهم طبيعة أي علم ينبغي فهم السياق الاجتماعي لشجرة ذلك العلم وخصائص التربة والمناخ الذي أحاط بتلك الشجرة، وقد صار من مسلمات الفكر الحديث أنه لا مجال لفصل المعرفة عن المؤثرات الاجتماعية، مثلما أن

الدراسات الاجتماعية المعاصرة لا تبرّئ مضمون العلم من العناصر الاجتماعية[1].

وهذه الدراسة تتناول دور العامل الإداري والسياسي في نشأة المعارف اللغوية والنحوية في الحضارة العربية الإسلامية، وهو الدور الذي تمثل في مجال الكتابة والكُتّاب الذي تخلّق في تلك الظروف الجديدة، ونقول ما قد قلناه في بحث سابق: "والمراد بالعامل هنا أنه سبب في المجتمع يدفعُ إلى دراسة علوم العربية، ومِن الضروري أنّ نعرف هنا أنّ وجود العوامل المختلفة للبحث اللغوي والنحوي لا يستلزم ميلادَ العلم مِن فوره، ولا يقتضي وجودَ ذلك البحث في صورة العلم، وإنما العوامل محرّكات الفكرة، والمعارف تراكمٌ ولا تنشأ في لحظة واحدة، ومعنى هذا أن وجود تلك العوامل المختلفة قد أوجد النظر في أمر اللغة والنحو والمباحثة بين المعتنين بمسائلهما في مجالات معرفية مختلفة، وقد استمر ذلك في تطوّر حتى تحقّقت لذلك النظر صورة العلم، وذلك بإيجاد المنظومة الاصطلاحية؛ إذ لا يمكن التفكير في العلم إلا بمصطلحاته، فالمصطلح لغة العلم، وقد قيل: لا معرفة من دون مصطلح، وبإيجاد ذلك العلم في قوانين متعالية، أي طبيعته المجردة"[2].

أهداف البحث:

1– بيان الظروف التي أدّت إلى نشوء الكتابة الإدارية وطبقة الكُتاب.

2– بيان أثر تعريب الدواوين في الإقبال على تعلّم العربية.

3– بيان المؤلّفات التي وجّهها علماء العربية إلى الكتابة والكُتّاب واتجاهاتها.

4– بيان الموضوعات اللغوية في المؤلفات الموجّهة إلى الكِتابة والكُتّاب.

5– بيان دور الكُتّاب في تطوير البلاغة وأثرهم في النثر الفني.

أهمية البحث:

تتمثّل أهمية البحث في أنه يقف بتفصيل وتوسّع على عاملٍ من عوامل نشأة علوم اللغة والنحو عند العرب: العامل الإداري والسياسي المرتبط بمجال الكِتابة والكُتّاب، وهو عامل لم يُدرس بتوسّع عند المعاصرين الذين تناولوا عوامل نشأة المعارف اللغوية والنحوية في الحضارة العربية الإسلامية، ولم يُكشف فيه عن كيفية تفاعل مجال الكتابة مع معارف اللغة، ودور علماء العربية في ذلك التفاعل.

يكشف البحث عن الظروف التاريخية التي أدّت إلى نشوء الكتابة الإدارية، ويبيّن مكانة الكُتّاب وأهميتهم في تلك الظروف، ويقف على قرار تعريب الدواوين أيام عبد الملك بن مروان، ويشرح أثر ذلك القرار في إقبال الطامحين إلى العمل بالدولة على التزوّد من علوم العربية، وينقل عناية الخلفاء والأمراء بلغة الكتابة وسلامتها مِن الفساد، وكيف واكبَ علماء العربية حركة الكتابة واحتياجاتها اللغوية، ووجّهوا لها مؤلّفات شاع في عنواناتها "أدب الكاتب أو الكُتّاب"، وقد احتوت تلك المؤلفات على ستة موضوعات تتصل باللغة: المعرفة اللغوية العامة، قضايا الهجاء، قضايا التصويب اللغوي، المعرفة اللغوية المتصلة بالكتابة، التقاليد اللغوية المتصلة بالكتابة، التعريف بقضايا البلاغة وما يناقضها، وهي الموضوعات التي مثّلت تفاعل مجال الكتابة مع معارف اللغة، وخاض فيها

(1) الحاج صالح، الوجه السياسي للعلم (الفصل الرابع: المعرفة العلمية بين العوامل الاجتماعية والبنية المنطقية): 165.

(2) العبسي، في العوامل الخارجية لنشأة علوم اللغة والنحو-عامل المهنة والتكسّب أنموذجا: 528.

علماء العربية، ثم يُختم البحث بدور الكُتاب في تطوير البلاغة وأثرهم في تطويع النثر الفني وتطويره.

منهج البحث:

وقد اتبعت في هذا البحث المنهج الوصفي، وقد اقتضت طبيعة البحث أن يُبنى على خمسة محاور، الأول: الكتابة الإدارية والكُتّاب، الثاني: تعريب الدواوين وآثاره في تعلّم العربية، الثالث: علماء العربية والتأليف الموجّه إلى مجال الكتابة والكُتاب، الرابع: الموضوعات اللغوية في المؤلّفات الموجّهة إلى الكتابة والكُتاب، الخامس: دور الكُتاب في تطوير البلاغة وأثرهم في النثر الفني.

دراسة في الكتابة والكُتّاب

في سياق الإمبراطورية العربية المترامية الأطراف وإدارة الدولة، أصبحت الكتابة الإدارية قضية تفرض شروطها، فثمة مراسلات بين الخليفة وأتباعه في النواحي المختلفة في الجليل والصغير، وثمة مراسلات بين الخلافة والثوّار المناوئين، وكان على رسائل الخلافة إلى الخارجين عليها أن تحمل مِن الوعيد وتقليل الشأن والتذكير بسوء المنقلب، وثمة مراسلات بين الخلافة والملوك المجاورين لبلاد الإسلام فيها دعوة إلى الإسلام ونقض لما قامت عليه أديانهم، وهناك أيضا كتابة تتصل بإدارة الدولة وضبط أمور الدواوين المختلفة. وقد وجب على تلك الكتابة أن تمضي على وفق ما عُرف عن العرب وأشرافهم من الفصاحة والبيان، ناهيك عن ترفّعها عن الفساد الذي تلوكه ألسنة الدّهماء والرعاع[3].

أولا: الكِتابة الإدارية والكُتّاب

بسبب الحاجة إلى التنظيم الإداري والعسكري والمالي في الدولة الإسلامية، ظهرت الدواوين، وقد بدأ ظهور الدواوين في بداية الأمر في صورة محدودة، ثم تطوّرت وتنوّعت بشكلٍ تدريجي لتطور الظروف. وكلمة "ديوان" من أصل فارسي، عرّبها المسلمون واشتقوا منها الفعل "دوّن"[4]، وهي تعني الدفتر أو السجل، وعند توسّع الدواوين صارت تُطلق على المكان الذي يُحتفظ فيه بتلك السجلات.

وفي أيام الأمويين وبلوغ دولة الإسلام أقصى حدودها، اعتمدَ بنو أميّة بالشام في نظام الإدارة على غير العرب لما لهم من خبرةٍ في إدارة الدواوين وضبط الحسابات المالية[5]، ومَن كانوا يكتبون أيام البيزنطيين استمرّوا في العمل لدى الأمويين، وكانوا يدوّنون على الطريقة البيزنطية؛ لِقلّة خبرة العرب بهذه الأمور[6]، وقد كان ديوان الشام إلى سرجون بن منصور، وقد كان روميا نصرانيا، كتب لمعاوية ومَن بعده لعبد الملك بن مروان[7]، والأمرُ نفسه كان عند مصعب بن الزبير أمير العراقين لأخيه عبد الله بن الزبير، فقد كان يكتب له على الخراج سار زاذ صاحب باذين، ويكتب له على الرسائل عبد الله بن أبي فروة، ويُكنى عبد الله: أبا عبد الله، وهو جد الربيع مولى المنصور[8]، فكاتب الخراج له اسم غير عربي، وكاتب الرسائل ذو اسم عربي وذو كُنية (وهي سمة ثقافية عربية)، وهو أمر يتّصل بما تقدّم من قلة خبرة العرب بضبط الحسابات المالية.

(3) يُنظر: بوهاس ورفيقاه، التراث اللغوي العربي: 31.
(4) الدواوين هي السجلات، ومفردها ديوان، "قال ابن الأثير: هو الدفتر الذي يُكتب فيه أسماء الجيش وأهل العطاء ... وهو فارسي معرّب"، ابن منظور، لسان العرب: (دون)، 166/13.
(5) يُنظر: النصولي، الدولة الأموية في الشام: 188.
(6) يُنظر: الدوري، النظم الإسلامية: 171.
(7) الصولي، أدب الكُتاب: 192.
(8) يُنظر: الجهشياري، الوزراء والكتاب: 44.

وقد اختلف الأمر أيام عبد الملك بن مروان (65-86هـ)، فقد كان لهذا الحاكم الأموي الخامس وَعْيٌ بأهمية العربية، وله قرارات عُرفت بـ"حركة التعريب"، وكان أهم إجراء إداريّ اتُّخذ لصالح العربية في تلك الحقبةِ "تعريب الدواوين"، وقد "كانت دواوين الدولة آنذاك على نوعين؛ الأول: الدواوين المركزية، وهي استمرار لدواوين الجند التي أنشأها الخليفة عُمر بن الخطاب في الأمصار الرئيسة، ولغة هذه الدواوين هي العربية، والثاني: الدواوين المحلية، وهي دواوين الخراج التي وجدها العرب المسلمون في الأقاليم التي حرّروها، وكانت تُكتب باللغات المحلية، وهي المعنية بالتعريب"[9]، ويُعدّ ديوان الخراج القوام المالي للدولة، وكانت لغته يونانية، وكان الكاتب عليه سرجون الرومي[10].

كان وراء تعريب الدواوين أغراض كثيرة، منها جانب إداري، يتمثل في إحكام الإدارة المالية؛ إذ وجود دواوين بغير العربية عائق في ضبط الرقابة عليها، فمكّنَ التعريبُ من ضبط أعمال تلك الدواوين والإشراف عليها بدقّة ومنع الغش أو التزوير، وكان هذا الإجراء جزءا من خطة الإصلاح المالي[11]، فقد وقعت سرقات من بعض الكُتّاب من مال الدولة، وجمعوا الثروات بسبب عدم معرفة الولاة والعُمال باللغات التي كان يُدوّن بها[12]، ومنها جانب سياسي، يتمثل في دعم المركزية العربية في جميع النواحي، فالحكومة المركزية، بالإضافة إلى السيطرة الاقتصادية والدينية، كانت تروم السيطرة على الشعوب من الناحية الثقافية واللغوية[13]، بل وصل الأمر إلى حدّ تعريب علامات الطريق وأسلمتها[14]، وقد أسهمت حركة التعريب في تقليص وتحجيم النفوذ الأجنبي بعد أن انتقلت مناصبهم إلى أيدي العرب والمسلمين[15]، وتلك خطوة لتأكيد السيادة الكاملة واستقلال هويّة الإمبراطورية العربية، ومن هنا لا نستغرب أن الآمر بتعريب الدواوين هو نفسه الآمر بتعريب النقود وصكّ الدينار العربي الإسلامي. إنه ابنُ مروان الذي صكّ العُملة بكتابةٍ عربية وشعارٍ إسلامي، وأنشأ دارا لضرب العملة، وأمضى العقوبة الصارمة على المزيّفين[16]، فاستُغني عن الدنانير التي كانت تحمل رموزا غير إسلامية وكتابات أعجمية.

أُسند إلى صالح بن عبد الرحمن أمر تعريب الدواوين من الفارسية. وصالح مِن أشهر الكُتّاب، وقد قيل إن عامّة كُتّاب العراق تلامذة صالح[17]، وفيه يقول عبد الحميد الكاتب: "لله درّ صالح، ما أعظمَ منّته على الكُتّاب"[18]، وكانت عملية التعريب عملية ضخمة استغرقت نحو سنة كاملة، وخُصّصت لها ميزانية ضخمة، وهي خراج الأردن لعام كامل، ويُقدّر بمئةٍ وثمانين ألف دينار، وفي ذلك الإجراء، نُقلت كثير من المصطلحات الفارسية واليونانية إلى العربية[19]. وعَرّبَ سليمان بن سعد الخُشَني الكاتب الدواوين من الرومية في الشام[20]، وعرّبَ عبد الله بن عبد الملك

(9) السامرائي، حركة التعريب في عصر الخليفة عبد الملك بن مروان: 81، ويرى الدوري أن الدواوين وُضعت أسسُها في العصر الأموي، ولم تستقر بشكل نهائي إلا في العصور العباسية، يُنظر: الدوري، النظم الإسلامية: 170.
(10) يُنظر: الدوري، النظم الإسلامية: 170.
(11) يُنظر: المفتي، تعريب النقود والدواوين في العصر الأموي: 189.
(12) يُنظر: فوزي، الخلافة الأموية: 531.
(13) يُنظر: فرستيغ، اللغة العربية: 73-74، أومليل، السلطة الثقافية والسلطة السياسية: 56.
(14) يُنظر: فان أس، علم الكلام والمجتمع: 32-33.
(15) يُنظر: المفتي، تعريب النقود والدواوين في العصر الأموي: 189.
(16) يُنظر: النصولي، الدولة الأموية في الشام: 187.
(17) الجَهْشَياري، الوزراء والكتاب: 39.
(18) النديم، الفهرست: 338.
(19) يُنظر لما سبق: النصولي، الدولة الأموية في الشام: 188، الدوري، النظم الإسلامية: 171، أومليل، السلطة الثقافية والسلطة السياسية: 56.
(20) يُنظر: ابن خياط، تاريخ خليفة بن خياط: 299، ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: 317/22.

ديوان مصر من القبطية إلى العربية[21]، وتأخّر تعريب دواوين خراسان إلى أواخر الدولة الأموية، وكان ذلك على يد إسحاق بن طليق الكاتب[22].

نشأت طبقة الكُتّاب الذين التحقوا للعمل بالدولة، ووُصفت الكتابة بأنها "من أعلى الصناعات وأكرمها وأسمقها بأصحابها إلى معالي الأمور وشرائف المراتب، وهم بين سيّدٍ ومدبّرِ سيادةٍ ومُلك، وسائسِ دولة ومملكة، وقد بلغت بقَومٍ منهم منزلة الخلافة، وأعطتهم أزمّة المُلك، والمتصرّفون فيها في الحظّ منها بين متعلقٍ بالسِّماك مضاءً ونفاذا، وبين منتكسٍ في الحضيض نقصا وتخلّفا"[23]، ويصف الجاحظ منزلة الكتابة: "مِن شَرَف الكتابة أنه لا يسجّل نبيٌّ مرسل سِجلّا ولا خليفة مرضيّ، ولا يُقرأ كِتاب على منبر من منابر الدنيا، إلا استُفتح ذلك بذكر الله وذكر النبي وذكر الخليفة، ثم ذكر الكاتب"[24]. ومِن أصرح ما يشير إلى خطر شأن منزلة الكاتب أن أبا جعفر المنصور كان كثيرا ما يقول بعد إفضاء الأمر إلى بني العباس: غلبَنا بنو مروان بثلاثة أشياء: بالحجّاج، وبعبد الحميد بن يحيى الكاتب، والمؤذّن البعلبكي[25]، وهي إشارة إلى ثلاث: القوة العسكرية، والحنكة الإدارية، والرمز الديني، ومن ذلك أيضا أن عبد الملك بن مروان أوصى أخاه عبد العزيز حين وجّهه إلى مصر، فقال: "تفقّد كاتبَكَ وحاجبك وجليسك، فإن الغائب يخبره عنه كاتبك، والمتوسّم يعرفك بحاجبك، والخارج مِن عندك يذكرك بجليسك"[26]، فكان الكاتب أول ما أوصاه به.

كان الكُتّاب على درجات متباينة، والأحسنُ في كل شيء أقلّه، وفي ذلك يقول عبد الحميد الكاتب: "الكُتّاب قليل، والمُسَمّون بالكُتّاب كثير"[27]، وقد كانت مرتبة الكاتب تبعا لما يُتقنه من أدوات الكتابة، وفي ذلك قالوا: "الكتابة اسم مشترك يُوقَع على معان كثيرة، فتارة يقع على كمالها واستيعابها، وتارة يقع على بعض منازلها، ويُسمّى به مَن يعلم البعض منها، حتى إنه في عصرنا هذا يُوقَع على مَن لبسَ لُبسة أهلها، فمَن كان مِن الكُتّاب جامعا لأدوات الكتابة، فهو الذي يصلح للرئاسة العالية، ومَن كان مقتصرا عن تلك المنزلة، وجب أن تنزل طبقته بحسب ما معه من الصناعة"[28]، ومِن أدنى مراتب الكُتّاب "كاتب الخط"، أي الكاتب الحسن الخط الذي ينسخ الرسائل والوثائق[29]، وأُطلق وصف "الكاتب" على عموم مَن يتعلّم في "المَكتب"، أي مكان تعلم الكتابة، ويُسمّى المكان أيضا "الكُتّاب"، وقد ذُكر أن إطلاق وصف "الكاتب" على هؤلاء من باب التفاؤل أن يكونوا كُتّابا[30].

كان الكاتب أشبه بمرتبة الوزير اليوم، وهو أعلى مسؤول في مجاله، وبين الأعلى والأدنى من الكتاب مراتب كثيرة متفاوتة، ومن كبار الكُتّاب: كاتب الرسائل، كاتب الخراج، كاتب الجند، كاتب الشرط، كاتب القضاء، وكان كاتب الرسائل الأسمى مكانةً بين مَن ذُكر، لأنه المطلع على أسرار الدولة، ومما يدلّ على مكانته أن صاحب ديوان الرسائل كان يُسمّى في العهد الأموي "الكاتب"، ثم سُمّي "الوزير" في الدولة

(21) يُنظر: العسقلاني، نزهة الأمم: 136.
(22) الجَهْشَياري، الوزراء والكتاب: 67.
(23) الهمذاني، الألفاظ الكتابية: 28.
(24) ابن مماتي، قوانين الدواوين: 63، القلقشندي، صبح الأعشى: 65/1.
(25) الجَهْشَياري، الوزراء والكتاب: 81.
(26) ابن الأبار، إعتاب الكُتّاب: 128، وقوله: "الغائب يخبره عنه كاتبك" كذا في الأصل، ولعله "الغائب يخبرك عنه كاتبك".
(27) ابن النحاس، صناعة الكاتب: 31.
(28) السابق: 34.
(29) يُنظر: أومليل، السلطة الثقافية والسلطة السياسية: 53.
(30) يُنظر: ابن النحاس، صناعة الكاتب: 95.

العباسية[31]، وقد استُحدث منصب الوزارة في عهد العبّاسيين، وكان الملوك قبل ذلك لهم أتباع وحاشية[32].

وكان بعضُ الكُتّاب لا يُحجب عن الخليفة في أي ساعة من ليل أو نهار، وكان بعضهم تأتيه الأخبار فيقرأها قبل الخليفة، ويأتي الخليفةَ بالكتاب منشورا[33]، وقد قيل في قبيصة بن ذؤيب الكاتب: "وبلغ من لطافة محلّه منه أنه كان يقرأ الكتب الواردة على عبد الملك قبل أن يقرأها عبد الملك"[34]، وفي نحو ذلك يُوصف الكاتب بأنه "كان غالبا على الخليفة"، فقد كان يَنَاس بن خُمايا يكتب لعبد العزيز بن مروان، ووصف بأنه كان غالبا عليه[35]، وكان سعيد بن الوليد يكتب لهشام بن عبد الملك، ووصف بأنه كان غالبا عليه[36]، وكان عبد الحميد الكاتب غالبا على مروان بن محمد[37]، وكان لكل والٍ وقائد كاتب، وربما اتخذ الوالي في العمل الكبير طائفة من الكُتّاب، وحتى نساء الخلفاء كُنّ يتخذن الكُتاب، واتخذهم بعض القضاة والعلماء للكتابة عنهم[38]، ويُرى أن ما بلغنا مِن رواتب الكُتّاب قليلة غير كافية لتصوّر تفاصيلها، وقد كانت بين 300 درهم لرؤساء الكُتّاب و60 درهما للأدنى، وذلك بحسب مكانة الكاتب[39]، والمهم مِن كل ذلك أن الدولة العباسية خلقت بيروقراطية من الموظفين وجعلت الكُتاب قاعدتها الأساسية، وهذا وسّع جماعة الكُتاب وأهميتها في الحياة العامة[40].

ثانيًا: تعريب الدواوين وآثاره في تعلّم العربية

إن "تعريب الدواوين" –بلُغتنا اليوم– قرار عام يقضي بجعلِ العربية لغة رسمية في إمبراطورية مترامية الأطراف، وقد دفع هذا القرار بالعربية إلى مرحلة جديدة؛ إذ استعمالُ العربية لغةً للحكومة المركزية أوجبَ على العاملين فيها تحرّي السلامة اللغوية في جميع مراسلاتها ووثائقها وسبيل ذلك تعلّم العربية وإتقانها، ولما كانت الكتابة جسر الوصول إلى أرفع المناصب[41]، فقد اندفع الطامحون إلى العمل في الدولة من العرب وغير العرب إلى الازدياد في علوم العربية[42].

ولعبد الحميد الكاتب رسالة مطوّلة في نحو ست صفحات جعلها إرشادا ووصايا للكُتّاب في أمور كثيرة، وقال فيها: "فنافِسوا، معشر الكتاب، في صنوف العلم والأدب، وتفقّهوا في الدين، وابدؤوا بعلم كتاب الله عز وجل، والفرائض، ثم العربية، فإنها ثِقاف ألسنتكم، وأجيدوا الخط، فإنه حلية كتبكم، وارووا الأشعار، واعرفوا غريبها ومعانيها، وأيام العرب والعجم، وأحاديثها وسيرها، فإن ذلك معين لكم على ما تَسْمون إليه بهممكم"[43].

وعلى الرغم مِن أن كثيرا من أوائل الكُتّاب مِن غير العرب وعلى غير الإسلام، كان فيهم مَن تشبّع بالثقافة العربية ونظم الشعر، بل صار يردّ بالشعر على البديهة، حتى صارت أخبار الكُتّاب تشبه ما يُروى من أخبار الأعراب الفصحاء والشعراء النوابغ من العرب، ومن ذلك "أنه كان لعبد الملك كاتب

(31) يُنظر: خماش، الإدارة في العصر الأموي: 312.
(32) يُنظر: الدوري، النظم الإسلامية: 184.
(33) يُنظر لما سبق: خماش، الإدارة في العصر الأموي: 313.
(34) الجَهْشَياري، الوزراء والكتاب: 34.
(35) يُنظر: السابق: 34.
(36) يُنظر: السابق: 59.
(37) يُنظر: خماش، الإدارة في العصر الأموي: 313.
(38) يُنظر لما سبق: ضيف، العصر العباسي الأول: 465-466.
(39) يُنظر لما سبق: الجهشياري، الوزراء والكُتّاب: 126، خماش، الإدارة في العصر الأموي: 314.
(40) يُنظر: الدوري، الجذور التاريخية للشعوبية: 31.
(41) يُنظر: ضيف، العصر العباسي الأول: 465.
(42) يُنظر: أومليل، السلطة الثقافية والسلطة السياسية: 57.
(43) الجهشياري، الوزراء والكُتاب: 75.

نصراني مِن أوساط كُتّابه، يقال له: شَمْعل، وأنه أنكر عليه شيئا، فحذفه بمخصرة كانت في يده، أصابت رجله فأثّرت فيها، فرأى شَمْعل جماعة من أسباب عبد الملك ممن يعاديه، وقد ظهر فيهم السرور، فأنشأ يقول:

أَمِنْ ضربةٍ بالرجلِ مني تهافتَتْ
عُداتي ولا عَيبٌ عليّ ولا نُكرُ
وإنَّ أميرَ المؤمنين وفِعلهُ
لكالدهرِ لا عارٌ بما فعلَ الدهرُ"[44]

وقد تكاثرت الأخبار في أن الخلفاء والأمراء لم يكونوا يتسمّحون في اللحن، وأن وقوفهم على لحنٍ من كاتبٍ نهايةٌ لعمله، فمِن ذلك "أن زيادا دخل يوما ديوانه، فوجد فيه كتابا، وفيه: ثلاثة دِنان، فقال: مَن كتب هذا؟ فقيل: هذا الفتى، فقال: أخرجوه مِن ديواننا لئلا يفسده، وامحُ هذا، واكتب: آذُن"[45]، وهو خبرٌ يدلّ على أن الخطأ في اختيار الصيغة الصحيحة من جمع التكسير –عاقبته الطرد! (أي الخطأ في أن يُجمع على فِعال ما حقّه أن يجمع على أفْعُل)، أو على الأقل أن يكون مثل ذلك الخطأ غيرَ مغتفرٍ في الدائرة القريبة من صاحب الشأن.

والأمر نفسه يُروى عن المأمون، فقد "كان يتفقّد ما يَكتب به الكُتّاب، فيُسقِط مَن لحنَ، ويحطُّ مقدارَ مَن أتى بما غيرُه أجودَ منه في العربية، فكان الكُتّاب يتثابرون على ما يأخذون مِن النحو لمّا كان الرؤساء يتفقّدون هذا منهم، ويقربون العلماء"[46]، وفي هذا الخبر أن الخليفة نفسه عينه كان يمارس الرقابة اللغوية على الكُتاب، بل يتشدّد في ذلك، فاللاحنُ يسقط، ومَن أتى بغير الأجود يُحطّ مقداره، على الرغم مِن أن "غير الأجود" ما يزال في حيّز الصواب ولم يدخل حيز الخطأ! ويُختَم الخبرُ بأثر ذلك، وهو التنافس في النحو، ومِن أخبار المأمون أيضا أنه بلغه كتاب من إسحاق بن إبراهيم (من قادة المأمون وعُرف بصاحب الجُند)، وفيه "وهذا المال مالًا يجب على فلان"، وقد كان ميمون بن إبراهيم كاتب إسحاق على الرسائل، فخطَّ المأمونُ على "مالا"، ووقَّع بخطِّه في حاشية الكتاب: تكاتبني بلحنٍ يا إسحاق! فاشتدّ ذلك عليه، وفي رواية "فقامت القيامةُ على إسحاق"، فأُحضرَ كاتبُ الرسالة ميمونُ بنُ إبراهيم الذي أصابه غضبُ إسحاق بالهلع والجزع، واستُدعى ابنُ قادمٍ النحوي (من مشايخ ثعلب)، فأشار له ميمون أن يحتال له، فسأل إسحاق كيف يُقال هنا "مالٌ" أو "مالا"، فقال النحويّ: الوجهُ "وهذا المال مالٌ"، ويجوز "وهذا المال مالًا" على تأوّلٍ، فأقبل إسحاق على ميمون بغِلظة وفظاظة، ثم قال: الزمْ الوجهَ في كتبك، ودَعْنا مِن يجوز ويجوز. قال ابن قادم: ثم أكبّ ميمون عليَّ يقرأ النحو حتى فهم منه شيئا كثيرا[47]، فالخليفة المنشغل بأمور الدولة كبيرةً وصغيرةً لا يفوته أن ينبّه قائدا له على لحن، ويكتب له على حاشية الرسالة بذلك، والقائد تقوم قيامته لهَنةٍ لُغوية أخذها عليه الخليفة، فيستدعي نحويا ليتحقّق من المسألة؛ أبالنصب أو بالرفع، ثم يوبّخ الكاتب، ويأمره بالأفصح، ثم أكبّ ميمون يقرأ

(44) السابق: 40، والمخصرة العصا أو نحوه مما يتوكّأ به الرجل.
(45) السابق: 25.
(46) يُنظر: ابن النحاس، صناعة الكُتاب: 36، ابن الأبار، إعتاب الكُتّاب: 126، وفي المصدر الأول سقط كلمة.
(47) يُنظر: الصولي، أدب الكاتب: 129-130، الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين: 138-139، وبين المصدرين اختلافات طفيفة، ويعلق أبو العباس ثعلب على الخبر فيقول: "فكان هذا مقدار العلم، وعلى حسب ذلك كانت الرغبة فيه، والحذر من الزلل، قال: (وهذا المال مالاً) ليس بشيء، ولكن أحسنَ ابن قادم في التأتي لخلاص ميمون"، ابن الأبار، إعتاب الكتاب: 124-125.

النحو، وكل تلك القصة وأحداثها أساسها نصبُ كلمةٍ على وجهٍ مرجوح.

والمراقبة اللغوية أيضا ذُكرت عن مصعب بن الزبير أمير العراق، ومِن ذلك أنّ كاتبا له كتب: "مِن المُصعب"، فقال مصعب: ما هاتان الزائدتان؟ يعنى: الألف واللام[48]، فيبدو أن الكاتب اجتهد قاصدا التفخيم والتبجيل لاسم الأمير بتلك السابقة اللغوية، وهو أمر لا يبدو ذا بال على المستوى اللغوي، فالألف واللام تُزادان على كثير مِن الأعلام عند العرب، إلا إذا كان أمير العراق رأى أنه لا يليق بمَن هو في مكانته أن يُحدث على اسمه أي تغيير.

ولم يقتصر أمر الخلفاء والأمراء وأصحاب المراتب على إنكار اللحن مِن الموظفين لديهم، بل استنكروه مِن جلسائهم، ومن ذلك أن خالد بن صفوان التميمي، وهو مِن المشهورين بالبلاغة، كان يدخل على بلال بن أبي بردة بن عامر بن أبي موسى الأشعري أمير البصرة وقاضيها، فكان خالد يحدّثه ويلحن في كلامه، فلمّا كثر ذلك على بلال، قال له: يا خالدُ، تحدّثني أحاديث الخلفاء وتلحن لحنَ السقاءات؟! فصار خالد بعد ذلك يأتي المسجد ويتعلّم الإعراب[49]، وفي الخبر تصريح بأن توبيخ بلال دفع خالدا إلى تعلّم العربية من علماء الإعراب بالمساجد. وخلاصة كلّ ما تقدّم أن القُرب مِن النخبة الحاكمة على وجه العمل لديهم أو المجالسة كان يقتضي الكلام بلسانٍ قويم بعيد عن قُبح اللحن.

ومن الحقّ أن وجها مما ذُكر يعود إلى أيديولوجيا في الثقافة العربية رأت فصاحة اللسان وسلامة اللغة مِن خصال الشرف والكرماء، ورأت اللحن والفساد لا يليق إلا بالهَمل، واستنكروا اللحن من الأشراف غاية الاستنكار، وقد كثرت وتنوّعت أقوال أعيان العرب في ذلك، ومن ذلك أن المأمون سمع لحنًا من بعض ولده، فقال: "ما على أحدكم أن يتعلّم العربية، فيقيم بها أوده، ويزين مشهده، ويفلّ حجج خصمه بمسكتات حُكمه، ويملك مجلس سلطانه بظاهر بيانه. أيسرّ أحدكم أن يكون لسانه كلسان أمته أو عبده، فلا يزال الدهرَ أسيرَ كلمته؟!"[50]، وتكلّمت هند بنت أسماء بن خارجة عند الحجّاج فلحنت، فقال لها: "أتلحنين وأنت شريفة وفي بيت قيس؟!"[51]، ومنه حكاية الأصمعي "دخلتُ على مالك بن أنس، فما هِبت عالما قط هيبتي له، فتكلّم فلحن... فقلت: يا أبا عبد الله قد بلغت من العلم هذا المبلغ فلو أصلحت لسانك"[52]، ومن ذلك أن معرفة اللغة عُدّت من الرجولة والمروءة وكمال العقل، قال الشعبي: "حُليّ الرجال العربية، وحُليّ النساء الشحم"[53]، وقال الزهري: "ما أحدثَ الناسُ مروءة أحبّ إليّ من تعلم النحو"[54]، وقال قتادة: "لا أسأل عن عقل رجل لم يدلّه عقله على أن يتعلّم مِن العربية ما يصلح لسانه"[55]، ومع كلّ ما ورد من استشناع اللحن، كان اللحن على المستوى الكتابي أشنع، وقد قالوا: "اللحن في الكتاب أقبح منه في الخطاب"[56]، ويحكي الصولي عن زمنه: "وأكثر العلماء يلحن في كلامه لئلا يُنسب إلى الثقل والبغض، فأما في الكتاب وإنشاد الشعر، فإنّ ذلك قبيح جدا غير جائز"[57]. إن تلك الأيديولوجيا الثقافية كان لها تأثيرها في فضاء البلاط

(48) يُنظر: الجهشياري، الوزراء والكتاب: 46.
(49) يُنظر: المبرد، الكامل: 34/2، الصفدي، الوافي بالوفيات: 176/10.
(50) ابن الأبار، إعتاب الكُتّاب: 126.
(51) المرتضى، غرر الفوائد ودرر القلائد: 15/1.
(52) الصولي، أدب الكاتب: 133.
(53) ياقوت، معجم الأدباء: 25/1.
(54) السابق: 23/1.
(55) ابن النحاس، صناعة الكُتاب: 30.
(56) الصولي، أدب الكاتب: 130.
(57) السابق: 130.

الملكي مِن النخبة الحاكمة والعاملين لديهم من الكُتّاب، ودفعت إلى الحرص على الصحّة اللغوية.

ثالثا: علماء العربية والتأليف الموجّه إلى مجال الكِتابة والكُتّاب

إذا كان قرار تعريب الدواوين والمصالح المرجوّة مِن العمل في الدولة قد دفع إلى تعلّم علوم العربية، فإن ثمّة وجها آخر لذلك القرار اتصل بتحريك علوم العربية، ذلك أنه صار على المشتغلين بالعربية مواكبة حاجات تلك الحركة الكتابية العريضة، وتعميق معرفتهم باللغة وتجريد قواعدها بغرض تقديم تلك المعرفة لطالبيها عامّة ومنهم الكُتّاب.

وضع علماء العربية مؤلّفات توجّهت إلى تلك الفئة الإدارية، وقد شاع في عنواناتها "أدب الكاتب أو الكُتاب"، وهو تركيب يدلّ على أدب خاص يتصل بالكُتّاب، فمما ذُكر في ذلك أنه لمحمد بن هبيرة كتاب "مختصر ما يستعمله الكاتب"[58]، وللمفضّل بن سلمة "ما يحتاج إليه الكاتب"[59]، وفي مصادر أخرى "آلة الكاتب"[60]، وألّف ابن دُريد بعنوان "أدب الكاتب"، وقد قال النديم في وصفه: "على مثال كتاب ابن قتيبة ولم يجرّده مِن المسوّدة، فلم يخرج منه شيء يعوّل عليه"[61]، ولأبي بكر الأنباري "أدب الكاتب" ذكر النديم أنه لم يتمّه[62].

ومما بلغنا من تلك المؤلفات "أدب الكاتب" لابن قتيبة، ولهذا الكتاب أهمية مخصوصة، ذلك أنه يُعدّ أقدم ما وصلنا مِن المؤلفات التي وجّهت إلى الكتابة والكُتاب، ومنها "الخراج وصناعة الكتابة" لقُدامة بن جعفر، و"الألفاظ الكتابية" للهمذاني، و"أدب الكُتّاب" للصولي، و"صناعة الكُتّاب" لابن النحاس، ومِن المؤلفات التي قُصد بها الكُتاب أيضا "جواهر الألفاظ" لقُدامة بن جعفر، و"الألفاظ" لابن المرزبان.

اختلفت طبيعة أولئك المؤلفين، فمنهم مَن كان ذا مكانة معروفة في اللغة له فيها تصانيف عدّة، ومنهم مَن لم يبلغنا مِن له إلا مؤلّفه ذلك في الكتابة، ومنهم مَن اشتغل بالكتابة، فمن اللغويين ابن قتيبة، وهو عالم باللغة والنحو وغريب القرآن ومعانيه والشعر والفقه، كان يغلو في البصريين، له مصنّفات كثيرة، منها عيون الأخبار، غريب الحديث، الشعر والشعراء، القراءات، اختلاف تأويل الحديث، المعارف[63]، ومنهم ابن النحاس وهو نحوي معروف، من مؤلفاته شرح أبيات كتاب سيبويه، التفاحة في النحو، إعراب القرآن، المقنع وهو في اختلاف البصريين والكوفيين[64].

وممن اشتغل بالكتابة قُدامة بن جعفر، وهو من البلغاء الفصحاء والفلاسفة الفضلاء وسأل ثعلبا عن أشياء، وقد كان كاتبا للوزير ابن الفرات، ومِن مؤلفاته: نقد الشعر، الرد على ابن المعتز، صناعة الجدل، صابون الغم[65]، وممن اشتغل بالكتابة الهمذاني، وهو عبد الرحمن بن عيسى، أديب وشاعر وكاتب ولغوي، وكان كاتبا للأمير بكر بن عبد العزيز الذي ولي إمرة همَذان للمعتضد[66]، ولم يبلغنا له إلا كتابه في

(58) يُنظر: النديم، الفهرست: 110، القفطي، إنباه الرواة: 85/2.
(59) يُنظر: النديم، الفهرست: 110.
(60) يُنظر: القفطي، نزهة الألباء: 155، أبو البركات الأنباري، إنباه الرواة: 306/3، ياقوت، معجم الأدباء: 2709/6.
(61) يُنظر: النديم، الفهرست: 92.
(62) يُنظر: السابق: 112.
(63) يُنظر: النديم، الفهرست: 116، أبو البركات الأنباري، نزهة الألباء: 160-159.
(64) يُنظر لما سبق: الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين: 220، التنوخي، تاريخ العلماء النحويين: 33-34، أبو البركات الأنباري، نزهة الألباء: 217-219، ياقوت، معجم الأدباء: 468/1-470.
(65) يُنظر: النديم، الفهرست: 188، ياقوت، معجم الأدباء: 2235/5.
(66) يُنظر لما سبق: النديم، الفهرست: 197، القفطي، إنباه الرواة: 165/2، الذهبي، تاريخ الإسلام: 175/10.

"الألفاظ الكتابية"، وممن لم يكن مشهورا ابن المرزبان، وهو محمد بن سهل ويلقّب "الباحث عن معتاص العلم"[67]، ولم يبلغنا له إلا كتابه في "الألفاظ".

وقد اختلفت تلك الكتب في اتجاهها، فمنها ما كان أقرب إلى اللغة، ومنها ما جمع بين اللغة وقضايا الكتابة، ومنها ما توسّع في قضايا الكتابة، واتجاه الكِتاب يتشكّل بحسب تناوله للموضوعات اللغوية أو لموضوعات الكتابة، فأما الموضوعات اللغوية فستة (سيأتي الكلام عنها بالتفصيل في "رابعا")، وأما موضوعات الكتابة، فمنها التعريف بفضل الكتابة وما يتصل بها مِن قضايا تاريخية مثل أول مَن كتب بالعربية، ومنها التعريف بأصحاب المراتب المتصلين بالكتابة، مثل الخليفة، وأمير المؤمنين، والملك، والوزير، والتعريف بأدوات الكتابة، وصفاتها وما يحسن ومنها وما يقبح، مثل القلم، والمداد، واللِيْقة، والحِبر، والدفتر، والقرطاس والكراسة، والإضبارة، والسحاة، والخاتم، والتعريف بطبيعة الدواوين، مثل: الجيش، النفقات، بيت المال، الرسائل، التوقيع والدار، الخاتم، الفضّ، النقود والعيار، المظالم، الشرطة والأحداث، البريد والسكك والطرق، ومنها التعريف بالممارسات المتصلة بالكتابة، مثل مقابلة الكتاب، وفضّ الكتاب، وتطيين الكتابة، وذكر التوقيع والعنوان، ومنها المعارف غير اللغوية المتصلة بالكتابة، مثل مسائل في الفقه والفرائض وبعض قضايا الجغرافيا والفلك، ومنها المعارف الاجتماعية العامة، وهي الكلام على حاجة الناس إلى الغذاء والتناسل والمدن والاجتماع وإلى إمام يجمعهم.

ومما يمكن أن نلحظه عند عدد من المؤلفين المذكورين "الشكوى من تقصير الكُتّاب في علوم العربية"، ففي أقدم ما بلغنا من المؤلفات الموجهة إلى مجال الكُتّاب -وهو كتاب ابن قتيبة- شكوى من تقصير الكُتّاب في علوم العربية، وقد كان ابن قتيبة مِن أكثر المؤلفين شدّة في هذا الأمر، وإن كان للأمر أيضا علاقة بخوضه صراع العروبية والشعوبية مع الكُتّاب. وضع ابن قتيبة مقدمّة مطوّلة استهلّها بما عُرف عن كثير من العلماء من الشكوى من أهل زمانهم من الزهد في علومهم، ثم ذكر الكُتّاب ووصفهم بالجهل في العربية، ولم يترك ابن قتيبة تلك الدعوى عاريةً، بل أورد عددًا مِن القصص لبيان مبلغ ذلك الجهل، فكاتبٌ اصطفاه الخليفة لنفسه، وقد قرأ مرّة على الخليفة كتابا، فسأله الخليفة اختبارا عن معنى "الكلأ"، فتعثّر لسانه في الجواب، وكاتبٌ قرأ على خليفة "حاضر طيّئ"[68]، فصحّفه تصحيفا أضحك منه الحاضرين، ومن ذلك جهلهم بعيوب الرقيق وأنّهم لا يعرفون فرق ما بين الوَكَعِ والكَوَعِ، ولا الحَنَفَ من الفَدَع، ولا اللَّمى من اللَّطَع[69]، وكاتب وصف برذونا بأنه أبيض الظهر والشفتين، فقيلَ له: لو قلتَ أَرْثَم أَلْمَظ، يريدون الكلمات الخاصة بوصف الشفتين بالبياض، فأجابهم: وما بياض الظهر؟ فقالوا: لا ندري، فردّ عليهم: إنما جهلت من الشفتين ما جهلتم

(67) يُنظر: النديم، الفهرست: 197، ياقوت، معجم الأدباء: 2542/6.

(68) ذكر ابن النحاس الحادثة بتفاصيلها، فقال: "وقرأ محمد بن عيسى الكاتب على بعض الخلفاء كتابا يذكر فيه (حاضر طيّئ)، فصحّفه تصحيفا أضحك منه الحاضرين، وذلك أنه قال (جاء ضرطى)"، ابن النحاس، صناعة الكُتّاب: 243، وفي تصرّف ابن قتيبة في هذا الخبر ما قد يكشف شيئا من شخصيته، ففي إبهام اسم المُصحِّف ما يدلّ على سلوكه سبيل الورع والابتعاد عن الغيبة، وفي تركه التصريح بالتصحيف المضحك ما يدلّ على أنه كان زمّيتا يترفّع عن مثل ذلك.

(69) شرحَ الجواليقي ما ذُكر، فقال: "الوكع ميل إبهام الرجل على الأصابع حتى تزول فيرى شخص أصلها خارجا ... والكوع اعوجاج اليد من قبل الكوع، وهو رأس الزند الذي يلي الإبهام ... والحنف إقبال كل واحدة من الإبهامين على صاحبتها في قول الأصمعي، وقال ابن الأعرابي: الأحنف الذي يمشي على ظهر قدميه، والفدع قال الأصمعي: أن تميل الكف على وحشيها، وهو ما أدبر عن الإنسان منها ... واللمى سمرة في الشفة تضرب إلى السواد ... واللطع له موضعان أن تذهب الأسنان وتبقى أصولها، واللطع أيضا في الشفاه بياض يصيبها، وأكثر ما يعتري ذلك السودان"، الجواليقي، شرح أدب الكاتب: 45-46.

من الظهر، وهو ردّ يدلّ على نَفَس جدالي عند بعض الكُتاب، بل لم يفت ابن قتيبة إيراد ما يدلّ على الحُمق في الكُتاب، ومن ذلك أن نخاسًا دخل عليهم يشكو أنه رُدّت عليه جارية؛ لأنها ذات سنّ شاغية (زائدة على الأسنان)، فسألهم: كم في فم الإنسان من سنّ؟ فأدخل أحدهم سبابته في فيه يعدّ بها عوارضه فسال لعابه، وضمّ آخر فاه وجعل يعدّ أسنانه بلسانه.

ونبّه مؤلّفون آخرون على تقصير الكُتّاب بنبرة أقلّ مما مضى، ومنهم الهمذاني في كتاب "الألفاظ الكتابية"، فذكر أن مِن أخطاء المتأخرين من الكُتّاب الاتساع في الكلام، واستعمال الغريب والشاذ تميّزا عن العامة، واستعمال ألفاظ سخيفة من ألفاظ العامة[70]، وعلى ذلك النحو يمضي ابن النحاس، فبعد أن ذكر ما أسماه "أدوات الكتابة" قال: "على أن بعض الناس قد ترك كلّ ما قال، وأغفل كلّ ما يحتاج إليه، وجهل ما يجب عليه حتى صار يعيب العلم وأهله، ويستصغر الأدب وأصله"[71]، وقال أيضا: "وقد كان الكُتّاب فيما مضى أرغب الناس في علم النحو، وأكثرهم تعظيما لأهله، حتى دخل فيهم مَن لا يستحقون هذا الاسم، فصعُب عليه باب العدد، فعابوا الإعراب من الحساب وبعد عليهم معرفة الهمزة..."[72]، ثم ذكر ابن النحاس أمثلة على أخطاء الكُتّاب الإملائية، مثل الخلط بين ذوات الياء وذوات الواو، والخلط بين الواو التي يُزاد بعدها ألف والتي لا يُزاد، والخطأ في الوصل والفصل.

ولم يرتبط تقصير الكُتّاب بمجال اللغة والمفردات، بل عُرف عنهم التقصير في النحو، فقد قال الأخفش الصغير: "كُنا إذا قلّلنا ما مع الإنسان من النحو، قلنا: نحوٌ كُتّابي"[73]، فلعل مذهب عامة الكُتّاب في تعلّم النحو كان يقتصر على الضروري والعمليّ.

رابعا: الموضوعات اللغوية في المؤلفات الموجّهة إلى مجال الكِتابة والكُتّاب

تنوّعت الموضوعات اللغوية في المؤلّفات الموجّهة إلى مجال الكتابة والكُتّاب، وكانت الموضوعات على النحو الآتي:

1– المعرفة اللغوية العامة

والمقصود بها المعرفة اللغوية ذات الطابع العام التي يستفيد منها الكاتب وغير الكاتب، وأكثر ما ظهر في ذلك "أدب الكاتب" لابن قتيبة، فقد ذكر ابن قتيبة أنه صنع كتابه مِن كتب خِفاف، وتلك الخِفاف أربعة: كتاب المعرفة، كتاب تقويم اليد، كتاب تقويم اللسان، كتاب الأبنية.

فأما الكتاب الأول "كتاب المعرفة"، فالغالب عليه جانب اللغة، وأكثر أبوابه متصلة بمعاجم الموضوعات والرسائل اللغوية الصغيرة والمؤلفات في الفروق، ومن ذلك: باب معرفة ما في السماء والنجوم والأزمان والرياح، باب النبات، باب النخل، باب معرفة الخيل وما يُستحب منها، باب عيوب الخيل، باب العيوب الحادثة في الخيل، باب شيات الخيل، وأبواب أخرى في الخيل، ثم تأتي أبواب الفروق، ومنها: فروق في خلق الإنسان، فروق في الأسنان، فروق في الأفواه، فروق ريش الجناح، فروق في الأطفال، وغيرها من قضايا الفروق، ثم هناك باب معرفة الآلات، باب معرفة الثياب والناس، باب معرفة الطير، باب معرفة الهوام والذباب وصغار الطير، وهناك أبواب أخرى، مثل: تسمية المتضادين باسم واحد، باب نوادر من

(70) يُنظر: الهمذاني، الألفاظ الكتابية: 28.
(71) النحاس، صناعة الكُتاب: 26.
(72) السابق: 30-31.
(73) السابق: 34-35.

الكلام المشتبه، باب تأويل ما يُستعمل مثنى في مستعمل الكلام، وهناك أبواب في الاشتقاق، باب أصول أسماء الناس، وفيها: المسمون بأسماء النبات، المسمون بأسماء الطير، ... بأسماء السباع، ... بأسماء الهوام، ... بأسماء الصفات وغيرها.

وأما الكتاب الرابع "كتاب الأبنية"، فأغلب أبوابه في الصرف، وقد قسمه إلى أربعة أقسام رئيسة: القسم الأول: أبنية الأفعال، ويشتمل على: باب فعلتُ وأفعلتُ باتفاق المعنى، باب فعلتُ وأفعلتُ باتفاق المعنى واختلافهما في التعدي، باب أفعلتُ الشيءَ عرضته للفعل، باب أفعلتُ الشيءَ وجدته كذلك، باب أفعلَ الشيءُ حان منه ذلك، باب أفعلَ الشيءُ صار كذلك وأصابه ذلك، وغير ذلك من الأبواب، والقسم الثاني معاني أبنية الأفعال، يشتمل على: باب فعّلت ومواضعها، باب أفعلتُ ومواضعها، باب فاعلتُ ومواضعها، باب تفاعلتُ ومواضعها، وأبواب أخرى في الصيغ الفعلية المختلفة، ومنها باب فعَلتُ وفعُلتُ بمعنى، باب فعِلتُ وفعُلتُ بمعنى، ثم عقد أبوابا في الإبدال، وفي آخره أبواب: ما تكلّم به العامة من الكلام الأعجمي، باب دخول بعض الصفات على بعض، باب دخول بعض الصفات مكان بعض، باب زيادة الصفات، باب إدخال الصفات وإخراجها، والقسم الثالث أبنية الأسماء، ويشتمل على أبواب: باب ما جاء من ذوات الثلاثة فيه لغتان، باب ما جاء على فعله فيه لغتان فَعْلة وفِعْلة، باب ما جاء على فعال فيه لغتان فَعال وفِعال، باب ما جاء على فعالة فيه لغتان فَعالة وفِعالة، باب ما جاء على مفعل فيه لغتان مفعَل ومفعِل، باب ما جاء على مفعلة فيه لغتان مفعَلة ومفعِلة، ... وأبواب أخرى من ذلك، والقسم الرابع معاني أبنية الأسماء، ويشتمل على أبواب: باب الصفات بالألوان، باب الصفات بالعيوب والأدواء، باب شواذ البناء، باب شواذ التصريف، باب ما جمعه وواحده سواء، باب ما جاء على بنية الجمع وهو وصف للواحد... وأبواب أخرى من ذلك.

وأما الكتاب الثاني "تقويم اليد"، فهو في الهجاء، وسوف نتحدث عنه في العنوان الآتي "قضايا الهجاء"، وأما الكتاب الثالث "تقويم اللسان"، فهو في أخطاء العامة، وسوف نتحدث عنه في عنوان يأتي "قضايا التصويب اللغوي".

ومن المعرفة اللغوية العامة أن ابن النحاس وصف المرتبة الخامسة بأنها في النحو، وفيها باب ضمّ قبلُ وبعدُ واختلاف النحويين في علة ضمّهما وبنائهما واختلاف حركتهما وثبوتهما وإسقاطهما، باب ذكر ما يقع في الصدور من الأشياء المشكلة على مَن لم يتبحّر النظرَ في العربية بإيضاح وتبيّن، وفيه "سلامٌ عليك" و"سقيًا لك"، باب ما يقع في أواخر الكُتب، وفيه مثل: "فإن رأيت"، "فإن تر ذلك فافعله"، باب ما يقع في العنوانات، أي عنوانات المكاتبات، باب ذكر أشياء من النسب، أي النسبة إلى الشيء، باب النسب الشاذ، باب مسائل من التصغير والتصريف وغيرهما من النحو، باب حذف التنوين وإثباته.

2- قضايا الهجاء

كانت قضايا الهجاء (الإملاء بالمصطلح المعاصر) إحدى القضايا في مؤلّفات أدب الكُتّاب، فقد خصّص ابن قتيبة جزءا من كتابه "أدب الكاتب" في الهجاء، وهو الكِتاب الذي أسماه "كتاب تقويم اليد"، ولهذا الجزء أهمية تاريخية بالغة، فإذا عددنا ذلك الكتاب تأليفا مستقلا، فمعناه أنّ أقدم تأليف في الهجاء يبلغنا كان متّصلا بمجال الكتابة والكُتّاب، وإذا عددناه

مادة تأليفية مجموعة لا تأليفا مستقلا، فمعناه أن أول مادة مؤلّفة مجموعة في الهجاء تبلغنا كانت متصلة بأدب الكُتاب.

ومن تناولِ الهجاءِ أن الصولي جعلَ كتابه في ثلاثة أجزاء، وقد ختم الجزء الثالث بالكلام على قضايا الهجاء، مثل نقصان الألف وإسقاطها وزيادة الألف والهمز والهاء والواو والياء، وما يُكتب بالياء والألف من الأفعال والمقصور والممدود، وما يُكتب على غير قياس، وكتابة النون الخفيفة، والإدغام، وما يُقطع وما يوصل.

وقد جعل ابن النحاس كتابه على مراتب، وجعل المرتبة الثالثة في الهجاء والخط وما يُضاف إليهما من العدد وغيره، وفيه باب الاصطلاح في الخط، أي قواعد الخط، وذكر أنها نوعان قديم ومُحدث، وقد كثر عنده عرض القاعدة منوّها على أنها من الاصطلاح القديم، ومما تكلّم فيه كتابة الفعل بالياء أو الألف، زيادة الألف والواو، باب الاصطلاح القديم في العدد والخط والتاريخ، باب الاصطلاح القديم على حذف اللام من الخط وما يلحقه من حذف الألف واللام، وتناول ما يُحذف من الخط، باب حذف النون من الخط وما يتصل به من باب "لا" و"ما" وغيرها، باب مختصر ما تكتب عليه الهمزة، باب ما في الشكل، باب الاصطلاح المحدث الذي استعماله خطأ، ولما تناوله ابن النحّاس أهمية تتمثّل في أن له إشارات عدّة إلى الاصطلاح القديم في الهجاء وما أحدثه بعض حُذّاق النحويين.

3– قضايا التصويب اللغوي

كان التصويب اللغوي (التنبيه على الأخطاء) إحدى قضايا مؤلّفات أدب الكُتّاب، فإذا بدأنا بكتاب ابن قتيبة، فالكِتاب الثالث فيه "كتاب تقويم اللسان"، وأغلبه في التنبيه على أخطاء العامة، وبيان ذلك أن الكِتاب تألّف مِن 35 بابا، جاء منها 25 بابًا صريحةً عنواناتُها في التنبيه على أخطاء العامة، وسوف نورد مقدارا كافيا مِن تلك العنوانات بحسب ترتيبها في الكتاب، وفيها ما يكفي لإعطاء الصورة العامة لطبيعة تلك الأخطاء، وهي: باب الأفعال التي تهمز والعَوَامُّ تَدَعُ همزها، باب ما يهمز من الأفعال والأسماء والعَوَامُّ تبدل الهمزة فيه أو تسقطها، باب ما يُشَدَّد والعوامُّ تخففه، باب ما جاء خفيفا والعامة تشدده ... باب ما جاء بالسين وهم يقولونه بالصاد، باب ما جاء بالصاد وهم يقولونه بالسين ... باب ما جاء على فَعِلْتُ بكسر العين والعامة تقوله على فَعَلْتُ بفتحها، باب ما جاء على فَعَلْتُ بفتح العين والعامة تقوله على فَعِلْتُ بكسرها ... باب ما يُعدَّى بحرفِ صفة أو بغيره والعامة لا تعديه أو لا يُعدّى والعامة تعديه، باب ما يُتكلم به مثنى والعامة تتكلم بالواحد منه، باب ما جَاء فيه لغتان استعمل الناسُ أضْعَفَهما، باب ما يُغير من أسماء الناس، باب ما يُغير من أسماء البلاد.

وعلى النحو نفسه، مضى ابن النحاس، فقد جعل المرتبة العاشرة في أشياء مما يخلّط الكُتّاب فيها، وفيه: باب فعل وأفعلَ باختلاف المعنى، باب فعلتُ وأفعلتُ بمعنى واحد، باب أفعلَ الشيءُ وفعلتُه، وهو باب غريب حسن، وجعل تحته عددا من الأبواب الصغيرة، باب فعِلتُ وفعَلتُ باختلاف المعنى، باب فعِلتُ وفعَلتُ بمعنى واحد، باب فعَلت بفتح العين بشرحه، باب فعِلت بكسر العين بشرحه، باب فعُل بضم العين.

وثمة زيادة ملحقة بكتاب ابن النحاس، فقد صرّح في المقدمة أنه سيجعل كتابه على عشر مراتب[74]، وجاءت تلك الزيادة بعنوان "الطبقة الحادية عشرة"، وأولها "باب أشياء مما يحتاج إليها الكاتب مما يغلط فيه"، فـ"باب ما شهر منه الذكور وأشكل الإناث"، فـ"باب ذكور ما شهر من الإناث"، فـ"باب ما يُعرف جمعه ويشكل واحده"، فـ"باب ما يعرف واحده ويشكل جمعه".

وما سبق يبيّن أنّ أكثر ما أُخذ على الكُتاب في باب الصرف والدلالة، وثمة إشارات قيّمة تمنح فهمًا أكثر لطبيعة لغة الكُتاب، وردت تلك الإشارات عند قدامة بن جفر في "الخراج وصناعة الكُتّاب"، فقد تكلّم في المنزلة الخامسة على ديوان الجيش، وبيّن طريقة الكُتّاب في ذكر صفات الرجال وعلامات الخيل والبغال، فقال: "فيمكن الآن حيث نأخذ في تعريف ما يستعمله الكُتّاب من وصف الحلي وشيات الدواب على ما جرت به عادتهم وألفوه، وإن كان بعض ذلك لا يوافق ما عليه مجرى اللغة، فإنا لو ذهبنا إلى تغيير ما لا يجوز في لغة العرب مما قد ألف الكُتّاب استعماله، لتعدّينا ما لا يعرفونه ويعملون عليه، وجئنا بما يشكره أكثرهم ويخالف ما جرت به عادتهم، وليس كل ما يستعمله الكُتاب خارجا عن مذهب اللغة، لكن القليل منه وسيُذكر في موضعه"[75]، وفيه يبيّن قدامة أن ثمّة ما ألفه الكُتّاب وإن كان لا يوافق صواب اللغة، ويطرح الإشكال بأن تصويب ذلك يتعدّى ما لا يعرفونه، ثم يخفّف من شأن الخطأ عند الكُتّاب، فيذكر أن القليل مما يستعمله الكُتّاب فقط خارج عن مذهب اللغة.

وبعد ذلك تكلّم قدامة عن الدواب وألوانها، فقال: "... ويكون أصمّ بسواد أو مكان السواد حُمرة، وليس يُقال في اللغة لما كان بحُمرة: أحمّ، إلا أن كُتّاب الجيش يقولون: أحم بحمرة"[76]، وقال أيضا: "وكذلك البغال، توصف بقريب من هذا، إلا أنه ربما كان في ألوان البغال ما ليس يُسمى به الخيل. والشهارى من ذلك الدّيزَج، وهو الأخضر المائل إلى الدهمة، ومنه الأدغم. وليس يكاد كتاب الجيش يذكرون هذا اللون، فيركّبون له قولا يدل عليه، وهو أن يقولوا: كميت يشبه الأخضر"[77]. وقال قدامة أيضا: "... وفي الإناث، يُقال: حجر دهماء أو شقراء أو غير ذلك من الألوان، إلا في الكميت، فإنه لا يقال الأنثى منه كمتاء، لأن العرب لا تقول فعلاء للأنثى، إلا لما كان الذكر أفعل. وإذا كان لا يُقال أكمت للذكر، لا يقال للأنثى كمتاء. وقد أُنكر قول امرئ القيس: (ديمة هطلاء فيها وطف)؛ لأنه لا يقال: أهطل، إلا أن عادة الكتاب قد استمرت على أن يجيزوا ذلك، فيقولون: في الأنثى كمتاء، وينبغي أن يستعمل ما يستعملون، وإلا فالحق، أن يُقال: حجر كميت"[78]، وهنا ينص قدامة على أن استعمال الكُتّاب على خلاف قول العرب، غير أنه يتسامح مع ذلك؛ لأن عادة الكتّاب استمرت عليه، وذلك تغليب للجانب النفعي، ولا نغفل أن قدامة نفسه كاتب، ويتفهّم مشكلة تغيير العادة المستمرّة.

وبما مضى يتّضح رأي بعض المعاصرين أن الكُتّاب تعاملوا مع العربية بطريقة عَمَلية بوصفها أداة للتعبير، ولم يكن لديهم تحفّظ في التصرّف فيها على ما هو عند علماء العربية التقليديين، كما لم يأبهوا

(74) يُنظر: ابن النحاس، صناعة الكُتّاب: 45.
(75) قدامة، الخراج وصناعة الكُتّاب: 23-24.
(76) السابق: 27.
(77) السابق: 29.
(78) السابق: 28.

بخلاف البصريين والكوفيين في فصاحة هذه الكلمة أو تلك[79].

4- المعرفة اللغوية المتصلة بالكتابة

والمقصود بها المعرفة اللغوية التي يحتاجها الكاتب في مجاله، وهي الثروة التعبيرية في مجال الكتابة، أي التعبيرات البديلة المتقاربة المعنى التي يحتاجها الكاتب، وقد أُلّفت في هذا المجال كتب عدّة.

فأولها "الألفاظ الكتابية" للهمذاني، وقد عرّفَ المؤلّف في المقدّمة بمقصده من كتابه، فقال: "فإن كَتَبَ [الكاتب] عدّة كُتب في معنى تهنئة أو تعزية أو فتح أو وعدٍ أو وعيدٍ أو ... أو ... أو ... أمكنه تغيير ألفاظها مع اتفاق معانيها، وأن يجعل مكان (أصلح الفاسد) (لم الشَّعَث)، ومكان (لم الشعَث) (رتق الفَتْق)، ومكان (رتق الفَتْق) (شَعَبَ الصدْع)، وهذا قياس فيما سواه من أبواب ألفاظ هذا الكتاب"[80]، ومن الأمثلة على ذلك مِن كتابه قوله: "باب، يُقال: توسّل إليّ فلان بوسيلة، والجمع وسائل، ومتَّ إليّ بماتّة، والجمع مواتّ، وتذرّع إليّ بذريعة، والجمع ذرائع، وأدلى إليّ بوصلة، والجمع وُصَل، وضربني بحقّ"[81]، وقد جاءت كثير من الأبواب في المفردات البديلة، ومن ذلك قوله: "باب القِلّة، يُقال: هو قليل، نَزر، تافه، يسير، زهيد، طفيف، بخْس، بارِض وبَرْض وبُراض، وَتِحٌ ووتْح أيضا، نكِل، حقير ..."[82]، ومثله أيضا: "باب البُعد وما يجانسه، يُقال: بعُدت الدار بيننا، ونزَحَت، وشَسَعَت، ونَأت، وشَحَطَت، وسَحُقت، وأجْنَبَت، وقَذَفت، وتَزَحزحت، وشَطَرَت، وشَطَنَت، وشطَّت، وعَزَبَت، وغَرَبَت، وتراخت"[83]، وقد يشير المؤلف في ما سبق إلى ضبط الكلمة وإلى معناها وصيغة الجمع، وقد يستدل على المعنى بإيراد شاهد من كلام العرب من الأمثال أو الشعر، ووضع المؤلف ثلاثة أبواب مختلفة بين الأبواب الأخيرة، وهي في باب الإتباع وباب الأضداد وباب التشبيهات.

وثانيها "جواهر الألفاظ" لقُدامة بن جعفر، وقد عرّف قدامة بكتابه في المقدمة فقال: "هذا كتاب يشتمل على ألفاظ مختلفة، تدلّ على معان متفقة مؤتلفة، وأبواب موضونة، بحروف مسجّعة مكنونة، متقاربة الأوزان والمباني، متناسبة الوجوه والمعاني، تُونق أبصار الناظرين، وتروق بصائر المتوسّمين، تتسع بها مذاهب الخُطّاب، وينفسح معها بلاغة الكُتّاب"[84]، إلى أن قال: "وقد ألّف للألفاظ غيرُ كتاب، فقيل: أصلح الفاسد، وضمّ النشر، وسدّ الثلم، وأسا الكلم، فوزن أصلح الفاسد مخالف لوزن ضم النشر، وكذلك سدّ وأسا. ولو قيل: أصلح الفاسد، وألف الشارد، وسدّد العاند، وأصلح ما فسد، وقوّم الأودَ، أو قيل: صلح فاسده، ورجع شارده، لكان في استقامة الوزن واتساق السجع عَوض من تبايُن اللفظ، وتنافي المعنى والسجع"[85]. وواضح أن التأليف في التعبيرات البديلة في مجال الكتابة، غير أن المؤلف لم يرتض طريقة سابقة قبله؛ لأنها لم تراع الوزن، وهو يقصد بذلك الهمذاني، فأول باب عند الهمذاني "باب في معنى أصلح الفاسد"[86]، فالكتاب إذن في التعبيرات البديلة الموزونة في مجال الكتابة، وقد يشرح المؤلّف –على قلّة– معنى كلمة مما يوردها، وقد يورد في ذلك

(79) يُنظر: جب، دراسات في حضارة الإسلام: 84.
(80) الهمذاني، الألفاظ الكتابية: 31-32.
(81) السابق: 61.
(82) السابق: 46.
(83) السابق: 47.
(84) قدامة، جواهر الألفاظ: 2.
(85) السابق: 2-3.
(86) الهمذاني، الألفاظ الكتابية: 35، وينظر أيضا: قدامة، جواهر الألفاظ (مقدمة المحقق): 6، فقد أشار المحقّق إلى قصد قدامة.

شيئا مِن كلام العرب من الشعر أو من الحديث أو من القرآن.

وثالثها "الألفاظ" لابن المرزبان، وليس لدينا تعريف للمؤلّف بطبيعة الكتاب، لأنّ الكتاب خلو من المقدمة، ولكن موضوع الكتاب التعبيرات البديلة في مجال الكتابة، فهو على غرار الكتابين السابقين، غير أن ابن المرزبان تميّز بأمرين، أحدهما الصرامة المنهجية في عرض التعبيرات البديلة، فقد أورد البدائل من دون أي خروج عن ذلك الغرض إلى الشرح أو إيراد الشواهد من كلام العرب، والآخر أن مادته أقرب إلى المجال الخاص بالكتابة، ويبيّن ذلك المثال الآتي: "كتابي وَأَنا من سبوغ النعم/ تظاهر الآلاء، اتِّصَال الإِحْسَان، ترادف المَزِيد، شُمُول الصِّنَاعَة، جميل الصنع، جزيل الفضل، خَصَائِص الكَرَامَة، لطائف الكِفَايَة، تكاثف النِّعْمَة، تتَابع المَزِيد، وفور الحباء، فَوَائِد القسم، تَوَاتر الأيادي، عُمُوم المنح، غرائب البر، صنوف العوارف، فنون المنن، حميد الحظوظ، غمور العوائد، سني البلَاء، تَكَامل الغِبْطَة، وفور التَّحْوِيل، تكالف التحف، تهافت الفَوَائِد"[87]، فالتعبير الأصلي الذي جاء عنوانا فرعيا فيه "سبوغ النعم"، والتعبيرات المذكورة كلها بدائل عن ذلك التعبير.

5- التقاليد اللغوية المتصلة بالكتابة

المقصود بذلك التقاليد اللغوية التي يحتاجها الكاتب؛ لأنّها خاصة بمجال الكتابة، وقد خصّص ابن النحاس المرتبة الرابعة في كتابة بذلك، وجاء أولها "باب ذكر ترتيبات اصطلحوا عليها"، وباب أصول المكاتبات، وفيه آداب في الدعاء للمكتوب إليه، وذكر الأدعية بحسب منزلة المكتوب إليه، وباب مكاتبة النظراء، وفيه مكاتبة المرؤوس رئيسه، باب المكاتبة إلى ولي العهد والوزير، باب المكاتبة إلى غير الإمام وولي العهد والوزير، وهو في ذلك يُكثر من الاستشهاد على ما يذهب إليه بمقاطع من مكاتبات سابقة، باب مكاتبة الرجل ابنه، باب مكاتبة الفتيان، باب مكاتبة الفقهاء والأدنياء، باب مكاتبة النساء وما أشبه ذلك، ثم باب العنوانات، باب العنوان من الرئيس إلى المرؤوس، باب عنوانات النظراء، باب عنوانات كتاب المرؤوس إلى الرئيس، باب الكتب في الظهور وكراهة كثرة الدعاء على العنوان، باب كتبهم "سلام عليكم" في أول الكتاب وفي آخره "والسلام عليك"، ولِمَ قدّموا السلام على الرحمة، باب ذكر "أما بعد" وما معناها.

وممن تناول التقاليد اللغوية المتصلة بالكتابة الصولي، ومن ذلك ما كتبه في "العنوان"[88]، وقد ذكر أن بعضهم استحسن في عنوان الكتاب إلى الرئيس أن يُعظّم الخط ويفخّمه إذا ذُكرت كنيةُ الرئيس أو نسبتُه إلى شيء، وأن يلطف الخط في اسم المرسل واسم أبيه، ثم نسب إلى المحققين من الكتبة رفض ذلك، وذكر أنه يُعنون إلى الأمير بالاسم والتأمير بغير دعاء ولا كنية اكتفاءً بجلالة التأمير، وأنه يُكتب لولي العهد "لأبي فلان فلان بن فلان" للتفريق بينه وبين الإمام، وذكر مذهب بعض الكتاب أن الأجل يكتب "من فلان بن فلان إلى فلان بن فلان"، والنظراء يكتبون "لأبي فلان من فلان".

وفي "المقادير التي يُكتب فيها من القراطيس"[89]، ذكر الصولي أن الإمام يكتب في الثلثين من الصحيفة إلى الملوك وإلى عماله، وأن عماله يكتبون إليه في مثل ذلك، وأن الوزير يكاتب

(87) ابن المرزبان، الألفاظ: 48-49.
(88) الصولي، أدب الكاتب: 143.
(89) السابق: 148.

الإمام في النصف في أمور العامة الديوانية، وأن الأكفاء يتكاتبون في الأثلاث والأرباع، وتتحمّل المودة بينهم كلَّ شيء، وذكر كراهة الكتابة في ظهر الكتاب؛ لأنها تذيع الأسرار وتغضّ من سمو الدولة.

وفي "الدعاء في المكاتبة وترتيبه والزيادة والنقص فيه"[90]، ذكر الصولي أن كتب الوزراء عن الخلفاء لا تكون بتاء الخطاب ولا نون الجمع، فلا يقول "فعلتُ كذا أو فعلنا كذا"، بل يقول "فعل أمير المؤمنين كذا، فامتثل ما أمر به أمير المؤمنين"، وأن الوزير يكاتب الناس على مقاديرهم، وأن دعاءه لأمراء الأقاليم الكبيرة كدعاء النظير، ولا بأس إن ذكر فيها تفدية، ثم ذكر صيغ الدعاء لمن دونهم، ولمن دونهم، ولمن دونهم، وذكر أنهم تجنّبوا أن يقولوا للوزير في الدعاء "جعلني الله فداءك"؛ من أجل أن الشيء يُفدى بمثله أو بأجل منه، وليسوا كذلك، وقضايا أخرى من ذلك الباب.

6- التعريف بقضايا البلاغة وما يناقضها

أكثر ما ورد ذلك عند ابن النحاس، فقد جعل كتابه على مراتب، فكانت المرتبة السادسة في مسائل البلاغة، وقد افتتحها بـ"ذكر اشتقاق البلاغة وحقيقتها"، ثم "ذكر تفضيل البلاغة وترتيبها"، "ذكر المواعظ في البلاغة"، باب ذكر مجانسة الألفاظ التي تدلّ على البلاغة، "ذكر ما جاء في العفو من البلاغة"، "ذكر البلاغة في الألفاظ"، ذكر الألفاظ المستحسنة في البلاغة، وعقد عنوانات أخرى في البلاغة، مثل: ذكر التكافؤ، ذكر الاستعارة، ذكر السجع والازدواج وغير ذلك. وكانت المرتبة السادسة في الفهاهة، وقد أورد فيها: باب ذكر الفهاهة في اللغة، باب مَن لحقته الفهاهة في عهد رسول الله، ذكر من لحقته الفهاهة في وقت الصحابة، باب ما يُعد على مِن استعمله فهاهة من الكُتّاب، باب الفهاهة في استعمال حوشي الكلام، باب ذكر الفهاهة في جعل الحرف في غير موضعه، ذكر الفهاهة في المعاضلة بين الكلام، ذكر من لحقته الفهاهة من الكُتاب وغيرهم.

ويمكن أن يُضاف إلى ذلك عند ابن النحاس المرتبة الثامنة، فقد سمّاها مرتبة الخطابة، وأورد فيها نماذج عُليا مِن النصوص البليغة في الخطابة، وفيها باب ما يُروى عن النبي من الخطب، باب ما يُذكر عن أهل البيت رضوان الله عليهم من مشهور الخطب، باب ما يُروى عن الصحابة رضي الله عنهم من الخطب، باب فيه من خطب عمر بن عبد العزيز رحمه الله، باب ذكر من أرتج عليه في الخطابة.

ومن ذلك ما تطرّق إليه قدامة في مقدّمة "جواهر الألفاظ"، فقال في نهاية مقدمة الكتاب قبل الشروع في الموضوع الأساسي للكتاب: "وسأذكر ما يُختار ويُستحسن من الخطاب وقصد البلاغة بالمعنى إن شاء الله تعالى"[91]، وقال بعد ذلك: "وأحسن البلاغة الترصيع والسجع، واتساق البناء، واعتدال الوزن، واشتقاق لفظ من لفظ، وعكس ما نظم من بناء وتلخيص العبارة بألفاظ مستعارة، وإيرادها موفورة بالتمام، وتصحيح المقابلة بمعان متعادلة، وصحة التقسيم باتفاق النظوم وتلخيص الأوصاف بنفي الخلاف، والمبالغة في الوصف بتكرير الوصف، وتكافؤ المعاني في المقابلة والتوازي، وإرداف اللواحق، وتمثيل المعاني"[92]، وقد شرح تلك المصطلحات في بضع صفحات.

(90) السابق: 150.
(91) قدامة، جواهر الألفاظ: 3.
(92) السابق: 3.

وقضايا البلاغة مما ورد في المؤلفات الموجّهة إلى مجال الكِتابة والكُتّاب لم تتجاوز طبيعة المؤلّفات التي احتوتها، فهي أقرب إلى الطابع التعليمي، غير أنّ هناك أثرا أعمق للكُتّاب في النقاش النظري في قضايا البلاغة وتطوير النثر الفني، وسيأتي في العنوان الآتي.

خامسا: دور الكُتّاب في تطوير البلاغة وأثرهم في النثر الفني

حظيت البلاغة وقضاياها باهتمام خاص لدى الكُتّاب، وجُعلت "البلاغة" أداة من "أدوات الكتابة"، فقد ذكروا أن أدواتها: الخط، والبلاغة، والعلم بترتيب أعمال الدواوين، والخبرة بمجاري الأعمال، والدربة بوجوه استخراج الأموال، وعُدّ من أدواتها أيضا: الفقه، والفرائض، وعلم الحساب، والنحو[93]، وعلى أيدي الكُتّاب نشأت لغة ذات طابع مزدوج، تعبّر عن أوامر الحاكم ومقتضيات الإدارة من جهة، وذات طابع بلاغي وفني من جهة أخرى، ونأت بنفسها عن أن تكون لغة إدارية جافة، وبذلك أسهم الكُتاب في تطوير النثر الفني[94].

وقد نشأ البحث البلاغي عند العرب من روافد عدّة لا تخلو من ترابط بينها، فمنها جهود المفسرين، وقد ارتبط ذلك باشتغالهم بالقرآن وألفاظه وتراكيبه وبلاغته، وبيان ما في آياته من جمال، ومنها جهود اللغويين والنحاة، وقد كان لأوائل النحاة سجالات مع الشعراء، ومن ذلك ما ورد عن الأصمعي في كتاب "فحولة الشعراء"، ومثله أيضا ما أورده المبرد من متناثرات من قضايا البلاغة في كتابه "الكامل"، ومنها جهود المتكلّمين والفلاسفة، وقد ارتبط ذلك باشتغالهم بقضية الإعجاز القرآني، واختلفت آراؤهم في حقيقة الإعجاز، وقد اتصل ذلك أيضا بانشغالهم بالخطابة والمناظرة ودقة التعبير، ومنها جهود الشعراء والكُتّاب، وبفضل الكُتّاب تحولت الدواوين العباسية إلى مدارس نثرية، وفيها الحرص على التمييز بين الرفيع والوضيع من الكلام، ويشجعهم ويجازيهم على ذلك الوزراء والخلفاء[95]، ويضاف إلى ذلك الملاحظات البلاغية التي أكثر منها الكُتّاب والشعراء لتذليل المادة الأدبية القديمة لتناسب الإحساس المعاصر، وما أثر عنهم من وجوب تشرّب النماذج القديمة ثم إعادة إنتاج ذلك بما يناسب الذائقة الجديدة[96].

وقد أورد الجاحظ أن ابنَ المقفع سُئل عن البلاغة، فأجاب: "البلاغة اسم جامع لمعان تجري في وجوه كثيرة، فمنها ما يكون في السكوت، ومنها ما يكون في الاستماع، ومنها ما يكون في الإشارة، ومنها ما يكون في الحديث، ومنها ما يكون في الاحتجاج، ومنها ما يكون جوابا، ومنها ما يكون ابتداء، ومنها ما يكون شعرا، ومنها ما يكون سجعا وخطبا، ومنها ما يكون رسائل، فعامّة ما يكون من هذه الأبواب الوحي فيها والإشارة إلى المعنى والإيجاز هو البلاغة، فأما الخطب بين السماطين، و في إصلاح ذات البين، فالإكثار في غير خطل، والإطالة في غير إملال، وليكن في صدر كلامك دليل على حاجتك، كما أن خير أبيات الشعر البيت الذي إذا سمعت صدره، عرفت قافيته..."[97]، وفي جواب ابن المقفع نقف على قضايا بلاغية، منها مراعاة المقام فيما يخص الإطناب

(93) ابن النحاس، صناعة الكُتاب: 26.
(94) يُنظر: أومليل، السلطة الثقافية والسلطة السياسية: 53.
(95) يُنظر لما سبق: مطلوب، البحث البلاغي عند العرب: 29 وما بعدها، ضيف، البلاغة: تطور وتاريخ: 19 وما بعدها.
(96) يُنظر: ضيف، البلاغة: تطور وتاريخ: 28.
(97) الجاحظ، البيان والتبيين: 1/115-116.

والإيجاز، وبراعة الاستهلال، وردّ الأعجاز على الصدور[98].

ضرب الكُتاب في البلاغة بسهم وافر شُهد لهم به، ومدح العلماءُ بلاغة الكُتّاب حتى مَن عُرف بالغلو في عداوتهم مثل الجاحظ صاحب رسالة "ذمّ أخلاق الكُتّاب"، وأثنى عليهم غير مرة، فمن ذلك قوله: "طلبتُ علم الشعر عند الأصمعي، فوجدته لا يُحسن إلا غريبه، فرجعت إلى الأخفش، فوجدته لا يتقن إلا إعرابه، فعطفت على أبي عبيدة، فوجدته لا ينقل إلا ما اتصل بالأخبار، وتعلّق بالأيام والأنساب، فلم أظفر بما أردت إلا عند أدباء الكُتّاب كالحسن بن وهب، ومحمد بن عبد الملك الزيات"[99]، فجعل الجاحظ الكُتّاب الطائفة التي انفردت بمعرفة الشعر للشعر، فاللغويون أغواهم عن حقيقته الغريب، والنحويون شغلهم عن جوهره الإعراب، وأصحاب الأخبار تعلّقوا منه بمرادهم، ومدح الجاحظ أيضا لغة الكُتّاب وتخيّرهم للألفاظ، فقال: "أما أنا فلم أر قط أمثل طريقة في البلاغة من الكُتّاب، فإنهم قد التمسوا من الألفاظ ما لم يكن متوعّرا وحشيا ولا ساقطا سوقيا"[100]، وأثنى عليهم غيره، قال ابن رشيق: "والكُتّاب أرقّ الناس في الشعر طبعا، وأملحهم تصنيعا، وأحلاهم ألفاظا، وألطفهم معاني، وأقدرهم على تصرف، وأبعدهم من تكلّف"[101]، وقال ابن الأثير: "الكُتّاب غربلوا اللغة، وانتقوا منها ألفاظا رائعة استعملوها"[102].

والأمثلة على صياغة الأوامر الإدارية ممزوجة ببليغ الكلام كثيرة، ومن ذلك أن المأمون أمر كاتبه أحمد بن يوسف بن صُبيح –وقيل عمرو بن مسعدة– أن يكتب بالزيادة في قناديل المساجد الجامعة في جميع الأمصار في ليالي شهر رمضان، قال الكاتب: ولم يكن سبق إلى هذا المعنى أحد، فآخذه وأستعين ببعض ما قاله، فأرقت مفكرا في معنى أركبه، ثم نمت فرأيت في المنام كأن آتيا أتاني، فقال: "قل فإن في ذلك أُنسا للسابلة، وضياء للمجتهدين، ونفيًا لمكامن الرِّيب، وتنزيهًا لبيوت الله عن وحشة الظُّلَم"[103]، ومن ذلك أيضا أن عاملا لمروان أهداه غلاما أسود، فقال مروان لعبد الحميد: اكتب إليه، فاذمم فعله، فكتب إليه عبد الحميد: "لو وجدتَ لونًا شرا من السواد وعددًا أقل من الواحد، لأهديتَه"[104].

وقد كان ابن المقفع في طليعة الكُتّاب الذين ثبّتوا النثر الكتابي الجديد الذي سُمّي "الأسلوب المولّد"، وقد امتاز بالمعاني المستحدثة من دون تعقيد[105]، وتتجلّى نصاعة ذلك الأسلوب إذا قارناه بمن قبله، ومن ذلك أن يزيد بن المهلب أمر يحيى بن يعمر العدواني –وكان يكتب الرسائل له– أن يكتب للحجّاج بالفتح، فكتب: "إنا لقينا العدو، فمنحنا الله أكتافهم، فقتلنا طائفة، وأسرنا طائفة، ولحقت طائفة برؤوس الجبال، وعرائر الأودية، وأهضام الغيطان، وأثناء الأنهار، فبتنا بعُرعُرة الجبل، وبات العدو بحضيضه"[106].

نتائج البحث:

1– بسبب تطور تنظيم الدولة الإسلامية، ظهرت الدواوين والكتابة، وقد استعان العرب في بادئ الأمر بكُتّاب غير عرب لضبط الحسابات المالية،

(98) يُنظر: ضيف، البلاغة: تطور وتاريخ: 21 وما بعدها.
(99) ابن رشيق، العمدة: 105/2.
(100) الجاحظ، البيان والتبيين: 137/1.
(101) ابن رشيق، العمدة: 106/2.
(102) القلقشندي، صبح الأعشى: 199/1.

(103) يُنظر: الخراج وصناعة الكتابة: 38، ابن النحاس، صناعة الكُتاب: 34، قدامة، مع شيء من الاختلاف بين المصدرين.
(104) الجَهْشَياري، الوزراء والكتاب: 81.
(105) يُنظر: ضيف، البلاغة: تطور وتاريخ: 19 وما بعدها.
(106) الجَهْشَياري، الوزراء والكتاب: 40.

ثم صدر قرار تعريب الدواوين في أيام عبد الملك بن مروان، وكان لهذا القرار غرض إداري يتمثل في إحكام الإدارة المالية، وغرض اقتصادي يتضمّن في ضبط أعمال الدواوين، وغرض سياسي يتمثل في دعم المركزية العربية في جميع النواحي.

2- دفع قرار تعريب الدواوين بالعربية إلى مرحلة جدية، واندفع الطامحون إلى العمل في الدولة إلى تعلّم العربية، وقد تكاثرت الأخبار في أن الخلفاء والأمراء مارسوا الرقابة اللغوية على الكُتّاب، فقرّبوا مَن جوّد أمر اللغة، وأبعدوا مَن بدرت منه الهنات اللغوية، وكان القرب من النخبة الحاكمة يقتضي الكلام بلسان قويم بعيد عن اللحن، وقد كان وجها من ذلك يتصل بأيديولوجيا ثقافية رأت أن على لغة عِلية القوم أن تنماز عن لغة العامة.

3- ألّف علماء العربية عددا مِن المؤلفات الموجّهة إلى مجال الكُتّاب، وقد اختلفت طبيعة تلك المؤلفات، فمنها ما كان أقرب إلى اللغة، ومنها ما جمع بين اللغة والكتابة، ومنها ما توسّع في الكتابة، وقد أظهر عدد من أصحاب تلك المؤلفات الشكوى مِن تقصير الكُتّاب في علوم العربية.

4- تنوّعت الموضوعات اللغوية في المؤلّفات الموجّهة إلى مجال الكُتّاب، فكانت ستة: المعرفة اللغوية العامة، قضايا الهجاء، قضايا التصويب اللغوي، المعرفة اللغوية المتصلة بالكتابة، التقاليد اللغوية المتصلة بالكتابة، التعريف بقضايا البلاغة وما يناقضها.

5- كان للبلاغة وقضاياها اهتمام خاص لدى الكُتّاب، وقد جعلت البلاغة من "أدوات الكتابة"، وكان للكُتّاب دور بارز في تطوير البلاغة والنقاشات النظرية التي دارت فيها، وكذلك كان لهم دور بارز في تطوير النثر الفني، فقد نشأت على أيدي الكُتّاب لغة ذات طابع مزدوج تعبر عن مقتضيات الإدارة من جهة، وذات طابع فني من جهة أخرى، وقد سُمّي أسلوب النثر الجديد الذي ظهر على أيدي الكُتّاب "الأسلوب المولّد".

المراجع

[1] ابن الأبّار (محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي)
إعتاب الكُتّاب، تحقيق: د. صالح الأشتر، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، 1961م، ط1.

[2] إسماعيل (د. محمد علي)
مناهج المؤلفين المسلمين في كتب الخراج والأموال- قدامة بن جعفر نموذجا، مجلة دراسات الاقتصاد والأعمال، المجلد: 4، العدد: 1، يونيو، 2016م.

[3] الأنباري (أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد)
نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق: د. إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الزرقاء، 1985، ط3.

[4] أومليل (د. علي)
السلطة الثقافية والسلطة السياسية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1996م، ط1.

[5] التنوخي (المفضل بن محمد بن مسعر)
تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم، تحقيق: د. عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر، القاهرة، 1992م، ط2.

[6] الجاحظ (عمرو بن بحر)
البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1998م، ط7.
رسائل الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1964م، (د.ط).

[7] جِب (هاملتون)
دراسات في حضارة الإسلام، تحرير: ستانفورد شو، وليم بُولك، ترجمة: د. إحسان عباس، د. محمد يوسف نجم،

د. محمود زايد، دار العلم للملايين، بيروت، 1979م، ط3.

[8] الجَهْشياري (محمد بن عبدوس)
الوزراء والكُتّاب، حقّقه ووضع فهارسه: مصطفى السقا، إبراهيم الإبياري، عبد الحفيظ شلبي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، 1938م، ط1.

[9] الجواليقي (موهوب بن أحمد)
شرح أدب الكاتب، تقديم: مصطفى صادق الرافعي، مكتبة القُدسي، القاهرة، 1350هـ، (د.ط).

[10] الحاج صالح (د. رشيد)
الوجه السياسي للعلم، الدار العربية للعلوم –ناشرون، بيروت، 2014، ط1.

[11] الحموي (ياقوت بن عبد الله)
معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)، تحقيق: د. إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1993م، ط1.

[12] ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد)
تاريخ ابن خلدون (ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر)، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، 1988م، ط2.

[13] ابن خلكان (أحمد بن محمد بن إبراهيم)
وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق، د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، (كل مجلد له سنة طباعة).

[14] خماش (نجدة)
الإدارة في العصر الأموي، دار الفكر، دمشق، 1980م، ط1.

[15] ابن خياط (أبو عمرو خليفة بن خياط بن خليفة الشيباني)
تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: د. أكرم ضياء العمري، دار القلم، مؤسسة الرسالة – دمشق، بيروت، 1397هـ، ط2.

[16] الدوري (د. عبد العزيز)
الجذور التاريخية للشعوبية، دار الطليعة، بيروت، 1981م، ط3.
النظم الإسلامية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2008م، ط1.

[17] الذهبي (محمد بن أحمد)
تاريخ الإسلام، تحقيق: د. بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، 2003م، ط1.

[18] الزبيدي (أبو بكر محمد بن الحسن الأندلسي)
طبقات النحويين واللغويين، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، 1973م، ط2.

[19] السامرائي (د. عبد الجبار محسن)
حركة التعريب في عصر الخليفة عبد الملك بن مروان، مجلة سرّ من رأى، كلية التربية–جامعة سامراء، سامراء، المجلد: 3، العدد: 8، السنة الثالثة، كانون أول، 2007م.

[20] السيرافي (الحسن بن عبد الله بن المرزبان)
أخبار النحويين البصريين، تحقيق: طه محمد الزيني ومحمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة الحلبي، القاهرة، 1955م، ط1.

[21] السيوطي (عبد الرحمن بن أبي بكر)
بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، 1964م، ط1.

[22] الصفدي (صلاح الدين خليل بن أيبك)
الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، 2000م، (د.ط).

[23] الصولي (أبو بكر محمد بن يحيى)
أدب الكُتاب، تحقيق: محمد بهجة الأثري، المطبعة السلفية–مصر، المكتبة العربية– بغداد، 1341هـ، (د.ط).

[24] ضيف (د. شوقي)
العصر العباسي الأول، دار المعارف، القاهرة، (د.ت)، ط8.
البلاغة–تطور وتاريخ، دار المعارف، القاهرة، (د.ت)، ط9.

[25] العبسي (د. خالد عبد الحليم)
في العوامل الخارجية لنشأة علوم اللغة والنحو–عامل المهنة والتكسّب أنموذجا، مجلة جامعة صنعاء للعلوم الإنسانية، المجلد: 5، العدد: 2، 2023م.

[26] ابن عساكر (أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله)

تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية مَن حلّها مِن الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر، بيروت، 1995م، ط1.

[27] العسقلاني (آدم بن أبي إياس، ويقال: آدم بن محمد)
نزهة الأمم في العجائب والحكم، تحقيق: د. محمّد زينهم محمّد عزب، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1995م، ط1.

[28] فان أس (جوزيف)
علم الكلام والمجتمع في القرنين الثاني والثالث للهجرة، ترجمة: د. سالمة صالح، منشورات الجمل، بغداد– بيروت، 2008م، ط1.

[29] فرستيغ (كيس)
اللغة العربية– تاريخها ومستوياتها وتأثيرها، ترجمة: محمد الشرقاوي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2003م، ط1.

[30] فوزي (د. فاروق عمر)
الخلافة الأموية–دراسة لأول أسرة حاكمة في الإسلام، دار الشروق، عمّان، 2009م، ط1.

[31] ابن قتيبة (عبد الله بن مسلم الدينوري)
أدب الكاتب، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية مصر، 1963م، ط4.

[32] المبرد (محمد بن يزيد)
الكامل في اللغة والأدب، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، 1997م، ط3.

[33] قدامة (أبو الفرج قدامة بن جعفر البغدادي)
الخراج وصناعة الكِتابة، تحقيق: د. محمد حسين الزبيدي، دار الرشيد، بغداد، 1981م، ط1.
جواهر الألفاظ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، 1985م، ط1.

[34] القفطي (أبو الحسن علي بن يوسف أبو الحسن)
إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي – القاهرة، مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت، 1982م، ط1.

[35] القلقشندي (أحمد بن علي بن أحمد)
صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تحقيق: د. يوسف علي طويل، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٧م، ط1.

[36] المرتضى (علي بن حسين الموسوي)
غرر الفوائد ودرر القلائد (أمالي المرتضى)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1954م، ط1.

[37] مطلوب (د. أحمد)
البحث البلاغي عند العرب، منشورات دار الجاحظ، بغداد، 1982م، (د.ط).

[38] ابن المرزبان (محمد بن سهل)
الألفاظ، الكتابة والتعبير، تحقيق: د. حامد صادق قنيني، دار البشير، عمّان، 1991م، ط1.

[39] المفتي (نازدار عبد الله)
تعريب النقود والدواوين في العصر الأموي– المعاني والدلالات الحضارية، مجلة سرّ من رأى، كلية التربية– جامعة سامراء، سامراء، المجلد: 9، العدد: 35، السنة التاسعة، تشرين الثاني، 2013م.

[40] المقرئ (أبو طاهر، عبد الواحد بن عمر)
أخبار النحويين، تحقيق: مجدي فتحي السيد، دار الصحابة للتراث، طنطا، 1989م، ط1.

[41] ابن منظور (محمد بن مكرم بن علي)
لسان العرب، دار صادر، بيروت، 1414هـ، ط3.

[42] ابن مماتي (الأسعد بن مماتي)
قوانين الدواوين، تحقيق: عزيز سوريال عطية، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1991م، ط1.

[43] ابن النحاس (أحمد بن محمد بن إسماعيل)
صناعة الكُتّاب، تحقيق: د. بدر أحمد ضيف، دار العلوم العربية، بيروت، 1990م، ط1.

[44] النديم (محمد بن إسحاق بن محمد)
الفهرست، تحقيق: إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت، 1997م، ط2.

[45] النصولي (أنيس زكريا)
الدولة الأموية في الشام، دار هنداوي، المملكة المتحدة، 2015، (د.ط).

[46] اليغموري (أبو المحاسن يوسف بن أحمد بن محمود)

نور القبس المختصر من المقتبس، تحقيق: رودلف زلهايم، نشر: فرانتس شتاينر، فيسبادن، 1964م.
التأليف الجماعي
[47] بوهاس، جيوم، كولوغلي
التراث اللغوي العربي، ترجمة: د. كمال شاهين ود. محمد حسن عبد العزيز، مركز جامعة القاهرة للطباعة والنشر، القاهرة، 2000م، (ط1).